عدد ٨

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثامن	تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١	المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

المجلد الرابع | الجزء السابع

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس


المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الثامن	تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١	المجلد الرابع

القيام بالواجب

النفس الكريمة هي التي تصغى لصوت الضمير الطاهر ، ويغمرها الوازع الآلهي فيتحكم في انفعالاتها ويكون لها نعم الرادع الذي يكبح جماحها ويقيها مواقع الشرور ومتى توفر لها ذلك سهل عليها ادراك الواجبات وسهل عليها العمل على تحقيقها . والواجبات تختلف باختلاف طبقات الناس ولكن قيمة الواجب من حيث هو واجب واحدة فلا تستصغر النفس بعض الواجبات وتتساهل في أمرها فان الهيكل المعماري يقام بالحجارة ، الكبير منها والصغير . ولا يستغني في اقامته عن الصغير ، واذا أزيل بعض حجارته انصدع الهيكل ، وربما تداعى للسقوط

وانما اداء الواجب يحتاج الى قوة العزيمة وتمكن الوازع الديني من النفس تمكنا يجعل له السلطان الاكبر ، والى ضعف العزيمة وضعف الوازع يرجع السبب الاكبر في ترك القيام بالواجبات

وقد يكون عدم القيام بالواجب من اجل عدم الشعور بعظيم أمره والمصلحة التي تنجر من القيام به او المفسدة التي تترتب على اهماله فلا تقيم النفس له وزنا وتتقاعس عن ادائه لجهلها بالفائدة او لجهلها بالمضرة ، وهذا القسم من الناس يحتاج الى ارشاده انواع الفضائل ومحاسن الامور حتى يعمل لتحقيقها متى ادرك ان النفع موكول في تحققها وتحذيره من الرذائل حتى يسعى لتجنبها ويستهجنها وبذلك يكون قد ادرك النافع والضار فيقوم بواجبه نحو كل أمر بما يناسبه

القرآن الكريم

قال الله تعالى (من سورة الفتح)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ
كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

في هذا الشهر المبارك تتجدد الذكرى بمولد النبي الاعظم ، والصراط التام الاسقم ، الذي طلع على ليل الشرك فازال دجاه ، وأنار طريق الحق لمن سبقت له العناية من الله ، فاستنارت القلوب وتطهرت الضماير ، وحلت بالعالم البركات وتوالت البشاير ، ولانت قلوب كانت اقسى من الصخر ، وانقادت اعنة ا الحق بعد ان كانت مثلا في البقي والاعتساف والقهر ، ونزلت تيجان من صياصها ، ودكت قصور من اعاليها ، واعيد بناء العالم على شكل جديد ، اساسه التوحيد ، والقول الرشيد ، والعمل السديد ، فاستقامت العقيدة وتطهرت من الادران ، وهذبت الاقوال من الفحش والهذيان ، وشرفت الاعمال بالامتثال للرحمان ، فرجع الكفر خاسئا محسورا ، وتولى الشيطان مقهورا ، وكان امر الله قدرا مقدورا .

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم ، والصراط التام الاسقم ، نبراس الهداية والارشاد ، والقاطع لبذور الظلم والفساد ، والحاث على التآخي والتراحم ، ومن لولاه لم يخلق الله هذا العالم ،

المسامرة التي القاها محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحرير المجلة امام المذياع (تونس القومية) بمناسبة الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم ، والصراط التام الاسقم ، من تشرفت به الامة العربية فعظم شانها ، واعتز جانبها وقوي سلطانها ، وتاهت به على العوالم وباهت ، وتفاخرت بكونه من صميمها والى سماء المجد تناهت ، واقتعدت من بين الامم غارب الزعامة ، وتحكمت في رقاب العالم بالعدل والصفح والكرامة ، فهو منها صلى الله عليه وسلم وبه ارتفع شانها وظهر ، ومن ابنائها ومنه اكتسبت مجدها الذي غشى الابصار وبهر .

قالوا ابو الصقر من يشبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبان

كم من اب قد علا بابن ذرى شرف كما اعتلت برسول الله عدنان

فاي ذكرى تفي بحق هذا النبي العظيم ، واي ثناء يعبر عما امتلات به النفوس من الاجلال لمقامه الجليل الكريم .

اذا الله اثنى بالذي هو اهله عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولقد امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بانواع من المنن والالطاف لم يمن بها على احد سواه وميزه على جميع الخلق برتب لم يبلغ فيها احد مداه

رتب تسقط الاماني حسرى دونها ، ما وراءهن وراء

وان في هاتين اللايتين الاخيرتين من سورة الفتح ، اللتين هما موضوع درسنا ، لمظهرا عظيما من مظاهر هذا الامتنان الذي امتن الله به على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم

(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)

دين الحق هو الاسلام لانه الذي نسخت به جميع الشرائع والاديان فكان ما عداه من الاديان باطلا بعد ظهوره وهو الدين الحق الذي يجب اعتناقه والانضواء تحت لوائه قال الله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه)

والهدى ، هو طرق الهداية والارشاد التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي من اعظمها القرءان الذي انزله الله عليه فكان المعجزة الباقية بقاء الدهر وكان المرشد الاعظم الذي هو منبع الكمالات ومحور الفيوضات واصل التشريع الذي اراد الله لهذا العالم ان يسير عليه والذي لا يستقيم امر الناس ولا ينتظم لهم شان الا اذا رجعوا في كل امورهم اليه وهيهات ان يستقر لهذا العالم قرار او تكشف عنه البلايا وتدرأ عنه الاخطار وهيهات ان تقمع المظالم وتنتهي المآثم وهيهات ان يقض على الشهوات النفسيه والنزعات الشيطانية الا اذا رجع الناس كلهم الى تعاليم القرءان وعملوا بها في السر والاعلان واذا كان هذا هو دين الاسلام ، فلا جرم ان يظهره الله على الدين كله — اي على سائر الاديان ما عداه

وللمفسرين في معنى قوله (ليظهره على الدين كله) وجوه ، ارجحها فيما وقفت عليه وجهان

الوجه الاول – ان معناه يقضى بالاسلام على سائر الاديان اي لا يبقى معه اي دين ويكون هذا اشارة الى زمن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في ءاخر الدنيا حيث انه يحكم عند نزوله بهذه الشريعة الاسلامية . ولا يبقى على وجه الارض كافر وعليه فيكون الاظهار في الآية من قولك ظهر فلان على فلان اي تغلب عليه .

الوجه الثاني – ان معناه اظهار الاسلام بالحجج والآيات البينات فيكون معنى قوله ليظهره على الدين كله . اي ليجعله واضحا جليا قائم الحجة من نفسه على انه الدين الحق الذي لا مجال لغيره من الاديان أن يظهر معه من باب

امع الشمس للنجوم تجل ام مع الصبح للظلام بقاء

ويكون بقاء غيره من الاديان بعد ظهوره من باب المكابرة والعناد وتعمد البعد عن طريق الرشاد. والمكابرة داء عضال تفضي بصاحبها الى انكار الحق وان كان ملموسا والانتصار الى الباطل والتشبث به وان ظهر بطلانه حتى صار محسوسا

عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسئلون منه كتاب منزل قد أتاهم وارتقاء
او لم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء
واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدي بهن عناء
واذا ضلت العقول على علـ ـم فماذا تقوله النصحاء

وعليه فيكون الاظهار في الآية من الظهور بمعنى الوضوح من قولك ظهرت حجة فلان على حجة خصمه اي كانت ابين من حجته وامتن . وهذا الوجه الثاني في تفسير الاظهار هو الذي اختاره لان هذه الآية وردت مورد البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم . فان دينه الذي ارسله الله به سيكون اظهر الاديان ولا شك ان البشارة تكون ابلغ وأوقع فيما اذا تحقق المبشر به للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته . وتحقيق ذلك انما يكون على الوجه الثاني وذلك ظاهر

وقوله (وكفى بالله شهيدا) تحقيق بابلغ وجه لهذه البشارة اذ معنا وكفى بالله شهيدا على ان ما وعد به كائن لا محالة ومن اجل ذلك قال الحسن رضي الله عنه ان الله شهد على نفسه بانه سيظهر دين الاسلام ولقد حقق الله وعده فاظهر الاسلام على سائر الاديان بالحجة والبرهان كما اظهره بالانتشار العملي في سائر الاقاليم والبلدان ففي زمن قصير عم الاسلام جزيرة العرب ثم تغلغل الى فارس والروم واجتاح افريقية ووصل الى اقصى الاندلس وكاد يعم اوربا لولا أحداث حالت دون اطراد هذا السير وتعميم هذا الخير – وليس من الحكمة البكاء على ما فات . ولكل شيء من الاشياء ميقات .

وما من قطر انتشر فيه الاسلام الا واستتب فيه الامن واستقر النظام وانتشرت فيه الوية العدل والانصاف وثبتت الحقوق لاربابهـا وبات الناس في راحة واطمئنان على انفسهم واموالهـم وتوجهت الافكار للنهوض العلمـي والاقتصادي حتى اصبحت ممالك الاسـلام مطمح الانظـار وموضع الاعتبار واستمر الاسلام مرفـوع الراية عزيز الجانب موفور الكرامة وملـوك الاسلام وقـوادة وزعماؤه هم القادة لسائر الشعوب وهم المثل الاعلى للفضائل ومكارم الاخلاق وحسن التدبير

ثم قال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيض بهم الكفـار وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

بعد ما امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة بانه سيظهر هذا الدين الـذي جاء به على سائر الاديان اردف ذلك بمنة اخرى امتن بها عليه وهي التنويه بشانه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم والتنويه بشان اصحابه والثناء عليهم رضي الله عنهم في كتب الانبياء السابقين

وقد تضمنت هذه الآية بيان ما ذكر في التوراة وفي الانجيل من اوصاف الفضل والكمال للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضي الله عنهم

ففي التوراة وصفوا بخمسة اوصاف وهي - ١ - الشدة مع الاعداء وهم الكفار - ٢ - والتراحم والتوادد فيما بينهم - ٣ - والاقبال على طاعة الله وعبادته والاخلاص اليه - ٤ - ورجاء فضل الله وانعامه - ٥ - وظهور نور العبادة والتقوى على وجوههم

فالشدة مع الاعداء هي مظهر الشجاعة والاقدام والتضحية بالنفس في سبيل نشر كلمة الاسلام

والتراحم فيما بينهم — هو مظهر اللين والمجاملة وحسن الخلق

والاقبال على طاعة الله — هو الغاية العظمى التي يجب على كل عاقل ان لا يفكر الا فيها ولا يسعى الا اليها

ورجاء فضل الله — هو مطمح كل نفس ومبتغى كل ءامل واقصى ما يؤمله العبد ويسعى اليه

واما ظهور نور العبادة على وجه الانسان فذلك من الطف انواع الاكـرام وذلك هو قوله (سيمـاهم في وجوههم من اثر السجود) والسيما هكذا تستعمل بالمد والقصر ويقال سيمياء - وهي العلامة - والمراد بها هنا نضارة الوجه واشراقه من ءاثار طاعة الله - ومن ذلك قول بعض اهل الفضل - من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار - وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكم سيما ليست لغيركم من الامم تاتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)

وعنه صلى الله عليه وسلم (يامر الله الملائكة ان يخرجوا من النار من شهد ان لا اله الا الله فيعرفونهم بعلامة ءاثار السجود - وحرم الله على النار ان تاكل من ابن ءادم ءاثار السجود)

ومن هذا الباب قول اهل الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نظرة - لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها)

فهذا هو قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوارية)

واما ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في الانجيل - فقد نظر فيه الى ناحية اخرى وهي ناحية وصف الصورة التي بدأ بها الاسلام ضعيفا غريبا - ثم تدرجه في القوة والانتشار شيئا فشيئا حتى وصل الى اقصى مداه فضرب الله المثل لحالة الاسلام في بدايته وحال النبي صلى الله عليه وسلم - بالزرع - حيث تزرع اولا حبة من القمح او الشعير - فننبت - ثم تظهر فتكون ضعيفة - ثم تظهر الفراخ من حولها - فتقوى بها - ثم تصير غليظة متينة - ثم تبلغ اشدها - فتعجب الزراع -

وذلك قوله تعالى (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع) ليغيظ بهم الكفارة فقوله اخرج شطأه - الشطء هو فرخ السنبلة التي تنبت حول الاصل - ويقال منه اشطأ الزرع اي فرخ - وقوله فآزره الضمير المستتر فيه يعود على الشطء - والضمير المنصوب الظاهر يعود على الزرع - فالمعنى - كزرع اخرج فراخه من حوله - فلما خرجت تقوى بها اصل الزرع - وقوله (فاستغلظ) اي انتقل من اللين والرقة الى الغلظ - وقوله (فاستوى على سوقه) السوق جمع ساق والمراد بها القصبة التي تكون السنبلة اعلاها - وقوله (يعجب الزراع) اي ان هذا الزرع قد بلغ من الحسن والنمو والازدهار ما صار به معجبا للزراع - ومطمحا لانظارهم - وقوله بعد ذلك (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لمجموع الكلام المتقدم - فان وصف المسلمين بانهم في نمو مطرد وبانهم اقوياء واعزاء - من شانه ان يغيظ الكفار ويذهب بالبابهم .

ومن لطايف ما ذكره العلماء في هذه الآية - ما نقله في الكشاف عن عكرمة رضي الله عنه - نه قال : اخرج شطأه بابي بكر - فآزره بعمر - فاستغلظ بعثمان - فاستوى على سوقه بعلي -

ثم ختم الله الآية بقوله (وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

وهذا تبشير بنجاح الاعمال - وبلوغ الآمال - وان الله تبارك وتعالى قد قبل عمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه - واثابهم على ذلك بغفران الذنوب - وبالاجر العظيم - في مقابلة صدقهم واخلاصهم - وتضحيتهم بكل شيء في سبيله - وجدير بمن اخلص عمله لله - وصرف حياته في طاعة الله - وبذل نفسه وماله في اعلاء كلمة الله ان يغفر الله ذنبه وان يستمر عيبه وان ينيله من الاجر ما لا يدخل تحت حصر

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوايج وتنال به الرغائب ويستسقى بوجه الكريم وعلى ءاله وصحبه عدد كل لمحة ونفس .

محمد المختار بن محمود



خاتم النبيين

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

واما الجمع بين هذه العقيدة وما اقتضاه حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا فالكلام فيه ينبغي ان يقدم له مقدمة في درجة هذا الحديث ثم نقفي على اثره بما يسر الله في شرحه

قال السيوطي في الجامع الصغير : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا رواه البارودي عن أنس وابن عساكر عن جابر وعن ابن عباس وعن ابن أبي أوفى

قال المناوي في فيض القدير : وقضية كلام العنف أن هذا لم يتعرض أحد من الستة لتخريجه وإلا لما عدل إلى هذين وهو عجب فقد رواه ابن ماجة بزيادة. ولفظه : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله القبط وما استرق قبطي . اه بحروفه ورواه احمد باللفظ الاول ورجاله رجال الصحيح ، هذا ما في فيض القدير

وفي المقاصد الحسنة للسخاوي أن في سند هذا الحديث أبا شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب ، وعند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت لعبد الله بن أوفى أرأيت ابراهيم ابن النبيء صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسماعيل سمعت ابن ابي أوفى يقول : لو كان بعد النبيء صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه ابراهيم

وأما معنى الحديث فقد قال الحافظ ابن عبد البر : لا ادري ما هو ؟ فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبيء الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى

واغتر به النووي في تهذيبه فقال قول بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم كان نبيا باطل وجسارة على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم

وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه عجب منه مع وروده عن ثلاثة من الصحابة فكأنه لم يظهر لـه وجه تأويله فانكره وجوابه أن القضية الشرطية لا يلزم منها الوقوع ولا يظـن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن اه نقله العنبري وقبله بل نقول قد علمت أنه حديث مرفوع عند ابن ماجة

والاشكال عند ابن عبد البر والنووي من جهة أنه لا يلزم ان يكون ابن النبيء نبيـئا وهو اشكال في غاية الوهن لان اللفظ لا اشعار له بان ابن النبيء لا يكون الا نبيئا حتى يحتاج الى الجواب بان القضية الشرطية لا يلزم منها الوقـوع على ان هذا الجـواب في نفسه غير صحيح لان القضية الشرطية وان كانت لا تستلزم الوقوع فصدقها بصدق الملازمة بين جزءيها وكذبها بكذب الملازمة بينهما ، وقد انقدح في نفسي هذا البحث ثم رأيته للشيخ التاودي رحم الله في أجوبته

والاشكال القوي أن اللفظ يقتضي ان سيدنا ابراهيم لم يحل بينه وبين النبوة الا المـوت ولو عاش لكان نبيا مع ان الحائل بينه وبين النبوة ان الله تعالى ختم النبوة بسيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي ينبغي ان يعتنى بدفعه

وتمحيص القول فيه على ما يسر الله تعالى ان المروي عن ابن ابي اوفى من طـريق اسماعيل لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبيء بعده اخرجه احمد ، وهذا اللفظ لا اشكال فيه فإنه صريح ان الحائل بين سيدنا ابراهيم وبين النبوة حكم الله العادل ان النـبيء صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

واما ما جاء في اكثر الروايات : لكان نبيا سواء قلنا هو حديث مرفوع اوله حكم المرفوع فالذي يظهر فيه وجهان احدهما ان في الكلام حذف العاطف والمعطوف والمعنى لو عاش ابراهيم وكان بعد نبيكم نبي لكان نبيا ودليل هذا التقدير ما في رواية احمد : لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده ، الثاني ان معنى : لكان نبيا لكان اهلا لان ينبأ بما علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم من مواهب الله التي يهب مثلها بفضله ورحمته من يختاره للنبوة قـال الله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالاته . قال الحافظ ابن كثير : اي هو اعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، وقـال الشيخ محيي الدين ابن عربي : لا يضعهـا الا في مواضعها من القوى الروحـانية المجردة من المـواد الهيولانية . وقال البيضاوي : فان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لهـا اه وقول السيدفي المواقف : لا يشترط في الارسال الاستعداد الـذاتي بل الله يختص برحمته من يشاء محمول كما في حواشي القونوي وغيرها على الاستعداد الـذاتي الموجب كما يقوله الفلاسفة . واما الاستعداد غير الموجب فيتحقق بتحقق فضائل روحانية . وهذه الصلاحية من الطاف الله تعالى ومظاهر رحمته التي يختص بها من يشاء من عباده

وقد استدل هرقل عظيم الروم على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببعض صفاته كعلو نسبه وصدقه . الحديث من قبل النبوة . والحديث في الصحيحين

وذكر الامام الرازي عند الكلام على قوله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالته) ان فيه تنبيها على دقيقة حقيقة بالذكر وهي ان اقل ما لا بد منه في حصول النبوة والرسالة البراءة من المكر والغدر والغل والحسد

وذلك ان المشركين قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله اي حتى يظهر على يدي النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما ظهر على ايدي الانبياء قبله من فلق البحر وابراء الاكمه والابرص ونحوها، او لن نؤمن مثل ما أوتي الرسل من المعجزات على طريقتين في تفسير الآية وان كانت الثانية اقرب الى قوة الصلة بقوله تعالى فيما بعد : الله اعلم حيث يجعل رسالاته ، قال الرازي : وقولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما اوتي رسل الله) عين المكر والغدر والحسد اي والنبيء لا يكون ماكرا غادرا حاسدا

والحاصل ان النبوة اكرام من الله لمن يصطفيه من عباده ، بما فيه من تهيؤه واستعداده ، وكل ذلك وفق مشيئته ومراده ، ولله في خلقه شؤن . ولا يسال عما يفعل وهم يسالون ، فسيدنا ابراهيم فطره الله على مكارم الاخلاق التي لا يفطر عليها الا صفوة الله من خلقه الذين يجعل فيهم النبوة بسنته العادلة الحكيمة وعلم هذا فيه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي اهلا للنبوة

واما ختم النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالنظر فيه من جهتين احداهما ختمها به دون احد سواه وهذا مما لا مجال للنظر والبحث فيه ويقال في مثله لا يسال عما يفعل وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الثانية ختم واغلاق باب النبوة من بعده وهو الذي نتعرض بهذه الكلمات الموجزة لبيان سره

وحاصل ذلك على ما فتح الله به ان لا حاجة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم الى نبي يبعث ، يتجلى هذا بما نقرره فيما بعد وحاصله اوجه ثلاثة

الاول بلوغ التشريع في دينه فلمبارك صلى الله عليه وسلم الى الغاية التي ليس وراءها غاية سواء في هذا ما كان راجعا الى الشؤن الخاصة كاحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وما يرتبط بها والايمان والنذور والزكاة والاضاحي وما كان راجعا الى العلاقات الخاصة وروابطها كاحكام الزوجية والقرابة وما كان راجعا الى المعاملات الدائرة فيما بين الناس كاحكام عقود البيع بعامة انواعه والشركات والوكالات الاقارير والهبات والصدقات وكل ما يعود الى هذا الاصل اصل المعاملات الدائرة فيما بين الناس ويلحق به احكام العقوبات وما كان راجعا الى هيأة الحكومة ونظام القضاء كاحكام الامامة والامارة والقضاء والشهادة وما يتصل بها

والكلمة الجامعة في هذا ان حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والنسب والمال لديه منه وقد جاءت شريعة النبيء صلى الله عليه وسلم في ذلك كله بمراعات ما هو ضروري وما هو حاجي وما هو تكميلي وقررت من العقوبات للمحافظة على جميع هذا ما لا يتقرر النظام بحق الا به

وتشريع يراعي الضروري والحاجي والتكميلي في ذلك كله لا حاجة للبشر الى تشريع من بعده

ومن امثلة مراعاته للتكميليات تحريم النظرة الى الاجنبية بشهوة وتحريم القليل من الربا والخمر مما يرجع ان كليات النسب والمال والعقل

الوجه الثاني حفظ القرآن الحكيم والسنة السنية وهما اصل التشريع الاسلامي وما عداهما من اصول التشريع يعود اليهما فقد جمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كله فلم يضع شيء منه وعين من جاء بعدهم بالحديث الشريف . وما اتفق للمسلمين فيهما لم يتفق لغيرهم من الامم ، وفي الحديث : اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي

الوجه الثالث عناية الله بهذه الامة ببعث من يجدد لها امر دينها على راس كل مائة سنة ، ففي الحديث ، ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها اي يبين لها السنة من البدعة ويقيمها على منهاجه الذي ربما انحرفت عنه

ودين يفي بالضروريات والحاجيات والتكميليات من عامة شؤن اهله محفوظة اصوله يبعث الله من يجدده على راس كل مائة عام لا حاجة لمن يدين به الى نبي يبعث فيهم بتشريع جديد ، وقد عد العلماء عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من المجددين الذين يقيمون شريعة النبيء صلى الله عليه وسلم على وجهها



الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (صلعم) يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان (١)

ابو سعيد الخدري راوي هذا الحديث الشريف من الانصار نسبة الى خدره قبيلة من قبائل الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء المعتبرين مروياته الف ومائة وسبعون حديثا مات سنة اربع وسعين وله اربع وستون سنة ودفن بالبقيع اورد الامام مسلم بن الحجاج النايسابودي هذا الحديث في صحيحه عن طارق بن شهاب قال اولى من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام اليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال مروان قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله (صلعم) يقول من رأى منكم منكرا فليغيره الى آخر الحديث .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم الخطر في الاسلام وقد عده الشارع من اهم شعب الايمان فهو قطب من اعظم اقطاب الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين هو اكسير معالجة الرذائل ومقاومة من فتنتهم الدنيا بمناظرها الجذابة ومظاهرها الخلابه حتى اصبحوا اسارى بيد الشهوات سكارى بمحبة اللذات تساهلوا في تطبيق احكام الدين والعمل باوامره ونواهيه وقد اشتد مسيس الحاجة الى هذا النوع من الجهاد في الآونة الحاضرة لما انتشر فينا من القبائح والزور ولما فشا بيننا من التفريط والاهمال مع انه اساس حياة الامة وبدونه لا تتوفر لها سعادة ولا يطيب لها عيش فهو من اوكد الواجبات المفرضة على الامة واشدها نفعا وفائدة يعود بالخير الكثير على الهيئة الاجتماعية فنفعه راجع للمجموع ولذلك كان من الواجبات الكفائية اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين لحصول مصلحته بحصوله واذا تركه الجميع اثم كل من تمكن منه بلاعذر وقد يتعين كما اذا كان بموضع لا يعلم به الا هو . وقد تظافرت على وجوبه ادلة الشرع من كتاب وسنة واجماع ولا عبرة بمخالفة الرافضة في ذلك فخلافهم فيه خرق لاجماع المسلمين كما افصح عن ذلك امام الحرمين وهو لا محالة من النصيحة التي هي الدين كما في حديث سيد المرسلين ولو اردنا في هذه العجالة جمع ما

(١) رواه مسلم واحمد في مسنده والاربعة في سننهم

جاء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والآثار المروية لطال بنا القول ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن الآيات الدالة على وجوبه قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) فان قوله تعالى (ولتكن) امر والامر ظاهره الوجوب كما هو مقرر في الاصول وفي الآية زيادة على ذلك بيان ان الفلاح منوط به لما فيه من حصر الفلاح فيهم وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الوجوب عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر بل قال ولتكن منكم امة فانه يعطي بظاهره انه مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الباقين . واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له . وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين . ومن الاخبار الدالة على وجوبه قوله عليه الصلاة والسلام : لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومنها حديث مسلم الذي صدرنا به وهو قوله : من رأى منكم منكرا فليغيره (الحديث) فقوله من رأى منكم يحتمل انه من رؤية البصر والعين ويقاس عليه ماعلمه لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين ما ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اي من علم منكم منكرا فهو اعم مما ابصره وهو اشبه بالنظر وان كان لفظ رأى ظاهرا في البصر . والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به فيدخل فيه المحرم والمكروه وفي معناهما ترك الفرض والسنة المؤكدة . وقوله فليغيره امر ايجاب كما في آية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف) ولا يخالف ذلك قوله تعالى (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لان المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية الكريمة انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم على حد قوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر اخرى) واذ كان الامر كذلك فمما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه دعي عليه فانما عليه الامر والنهي لا القبول قال العلماء ولا يسقط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين وما على الرسول الا البلاغ المبين . قالوا ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا لما يأمر به مجتنبا ما ينهى عنه بل عليه الامر وان كان مخلا بما يامر به وعليه النهي وان كان ملتبسا بما ينهى عنه فانه يجب عليه شيئان ان يامر نفسه وينهاها وان يامر غيره وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح له الاخلال بالآخر اجل الاكمل ان يكون عاملا ليكون تأثيره كاملا . وعليه يحمل ما ورد عظ نفسك فاذا اتعظت فعظ الناس وقول القائل

وغير تقي يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوي الناس وهو مريض

ولا يختص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باصحاب الولايات بل هو لعموم المسلمين فان

غير الولاة في الصدر الاول والعصر الذي يليه كانوا يامرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم على ذلك، وانما يأمر وينهى من كان عالما بما يامر به وينهى عنه فان كان من الامور التي احكامها ظاهرة مثل الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فكل المسلمين علماء بها فكلهم يامر وينهى وان كان من دقائق الافعال والاقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام فيه مدخل وليس لهم انكاره بل ذلك للعلماء خاصة والعلماء انما ينكرون ما وقع الاجماع عليه واما المختلف فيه فلا انكار فيه لكونه جاريا على قول مجتهد فعلى القول بان كل مجتهد مصيب فلا اشكال وهو مختار جماعة من المحققين وعلى أن المصيب واحد فالمخطىء غير متعين والاثم موضوع عنه بافراغ كامل الوسع

وقوله في الحديث فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه يعني يجب عليه التغيير بيده وذلك ان توقف التغيير عليها ككسر اواني الخمر وآلات اللهو ومثل منع الظالم من ظلمه وتلك وظيفة الحكام لانهم الهيئة التنفيذية التي تقدر على هذا وقد يتوجه ذلك الى كل منا فيما اذا رأى ولده يشرب الخمر مثلا فهو قادر على اراقته بما له من سلطة عليه او رأى زوجته تتبرج بزينتها وتخرج من غير ضرورة شرعية فان في مقدرته منعها بما له من قوامة عليها وتلك هي المرتبة الاولى وهي اقوى المراتب في الحديث فان لم يستطعها بان خشي الحاق ضرر ببدنه او ماله فلينتقل الى المرتبة الثانية وهي الانكار والتغيير باللسان بان يقول قولا يرجى نفعه فيعطي كل واحد من الناس موعظته اللائقة به وعلى حد الحكمة والموعظة الحسنة وقوله ادفع بالتي هي احسن فقد يدرك باللين ما لا يدرك بالشدة وقد يدرك باللسان ما لا يدرك بالسيف وقد قالوا انه ينبغي ان يبتدا بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد على سبيل التدريج فان النصيحة مقدمة على الفضيحة وقال الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

وتغيير المنكر باللسان ليس خاصا بالعلماء او الحكام بل يشمل كل مكلف يمكنه الانكار باللسان ما لم يخش ضررا اكثر والا فليس له الانكار باللسان ولينكر بقلبه وهو قوله في الحديث فان لم يستطع فبقلبه ومعنى الانكار بالقلب ان يكره ذلك ويبغضه ويقيم دليلا على هذا البغض كاهمال المرتكب للمنكر او احتقاره ان امكن وليس للانكار بالقلب الذي هو اضعف مراتب الجهاد معنى الا هذا والا كان شريكا للمرتكب اذا كان يجلس معه او يغض النظر عن فعله او يمدحه بلسانه لان ذلك نفاق ويظن بعض العامة ان معنى الانكار بالقلب مجرد قوله اذا رآه وهو يرتكب المنكر اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ولو جلس معه او اعانه او شاركه في شيء وهذا خطأ درج عليه الناس فاضعف مراتب الايمان التي ليس بعدها من الايمان حبة خردل هي اعلان هذه الكراهة والاحساس تماما بان القلب هو الذي يملي على اللسان هذا القول او مثله ولذلك قال ابن مسعود هلك من لم

يعرف بقلبه المعروف والمنكر اي لان ذلك فرض لا يسقط عن احد بحال والرضا به من اقبح المحرمات ودليل على انه لا ايمان وليس هذا التعبير بالقلب في الحقيقة تغييرا ولكنه هو الذي في وسعه ومعنى كونه اضعف الايمان انه اقل ثمرة وأدنى نتيجة وانما كان اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قاله القرطبي

وفي معنى وقد قال (صلعم) ما من نبي بعثه الله قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسننه ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ر. اه مسلم عن ابن مسعود هذا ويحرم على المؤمن ان يتجسس على الناس لينكر عليهم واقتحام الدور بالظنون فان التجسس حرام منهي عنه ولا يتوصل للطاعة بحرام بل ان عثر على منكر غيره نعم لو اخبره عدل ثقة بان منكرا يرتكب في جهة كذا وانس من نفسه القدرة على ازالته على الحد الذي بسطنا فلا باس بذلك عملا بعموم لفظ رأى قال الماوردي يس له ان يقتحم ويتجسس الا ان يخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله او امرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحال ان يتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدركه قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله واعلم ان باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه واذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل ان يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله يقول ولينصرن الله من ينصره قال هذا القول ناعيا على اهل زمانه في القرن السادس للهجرة فكيف بنا اهل القرن الرابع عشر

فليس لنا الا ان نتمثل بقول من قال من ذوي الاحوال :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فاللهم يقظة شاملة وثباتا على دينك القويم والسلام على من اتبع سنة سيد المرسلين

محمد الهادي ابن القاضي

الفتاوى والاحكام

رسالة للشيخ اسماعيل التميمي تتضمن جوابه عن السؤال الذي سأله عنه باي عصره المولى المبرور حسين باي المتوفى سنة

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وعلى ءاله واصحابه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد فقد سئلت من جناب الحضرة الزكية . والدوحة العلية . ذات المفاخر السنية . والمئاثر المرضية . حضرة مولانا الملك الهمام . فخر ملوك الاسلام . سليل الملوك الفخام . وواسطة عقد ذلك النظام . فارس الاسلام . ونخبة الزمان . وعلم الاعلام . وعين الاعيان . سيدنا ابي عبد الله حسين باي ايد الله سلطانه . وشاد بالعدل اركانه . ونصر جنوده واعوانه . على لسان من بلغ عنه . من خدمة حضرته . وهو الفقيه الفاضل . المحصل المدرس الكامل . ابو عبد الله محمد المناعي احد كتبة ديوانه السعيد عن مسئلة حاصلها ان رجلا حبس عقارات ورباعا في عقد واحد على من عينه برسم الحبس تحبيسا خليا عن القبول والحوز واشترط فيه الغلة لنفسه بقية حياته ولم يضمن الموثق الرسم المذكور ما يثبت به ملكية ذلك للمحبس على الوجه المعتبر شرعا ثم بعد وفاته وتناسخ وراثته وقع تنازع في شان العقارات لدى حاكم مالكي فصدر منه حكم بفسخ حبسيتها ثم وقع تنازع ءاخر في الرباع التي لم يتعرض لها الاول لدى حاكم حنفي فاقرها وحكم بصحة حبسيتها وابقائها بيد اهل الحبس على ما كانت عليه قبل المنازعة ولم يلتفت الى ما احتج به احد الخصمين من سريان الحكم الاول اليها فاراد الآن بعض من ءالت اليه وراثة في المحبس ان ينازع في ذلك وان يخاصم لدى حاكم مالكي فهل للمالكي اذا رفعت القضية اليه ان يحكم فيها بمذهبه ولا يمنعه من الحكم الحكم الصادر بصحة وقفيتها او ليس له ذلك ؟ وامر ايد الله تعلى امره . وقدس بمنه سره . ان احيب عن ذلك بما تقتضيه قواعد الامام مالك رضي الله تعلى عنه

فقابلت إمره بما يجب له من الامتثال . وكتبت ما ظهر لي في الحال . ومن الله سبحانه وتعلى استمد التوفيق . والهداية الى اقوم واوضح طريق .

فاقول الذي ظهر لي في الجواب انه يجوز للمالكي والحالة ما ذكر ان يحكم بمقتضى مذهبه في تلك الرباع ولا يمنعه من ذلك الحكم الواقع بابقائها على حالتها الاصلية لان تصرف القاضي في النوازل اذا لم يحدث فيها تغييرا عن حالتها قبل المنازعة ولا اخرج فيها شيئا من يد الى

غيرها كما هو حال هاته النازلة مختلف في كونه حكما وكل ما اختلف في كونه حكما فلمن لا يراه حكما ان يحكم في محله بما يراه. اما القضية الصغرى القائلة ان مثل هذا التصرف الواقع في النازلة مختلف في كونه حكما فان الخلاف واقع فيه اولا بين ايمتنا فابن القاسم يراه حكما وسياتي تفصيل القول في اجراء مذهبه فيها ان شاء الله تعلى وعبد الملك ابن الماجشون لا يراه حكما ويرى ان الحاكم اذا ابقى الواقعة على حالها ولا اخرج شيئا من يد الى يد فان ذلك ليس بحكم وان اشهد على ذلك وكتب وانها اذا رفعت لمخالفه فله الحكم فيها. وبه قال أصبغ ومطرف وقال انه قول مالك وعزاه ابن رشد لابن حبيب وذكره الشيخ في النوادر عن كتاب ابن حبيب وسلمه ولم يحك له مقابلا فقال عن ابن الماجشون بعد ان ذكر ما يفسخ من الاحكام وما يقر ما نصه : وهذا فيما ياخذه الحاكم من هذا ويعطيه لهذا فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل وامساك ان يحكم عليه بغيره مثل ما مر من الاختلاف في الطلاق قبل النكاح والعتق قبل الملك ونكاح المحرم والحكم بالقسامة وطلاق المخيرة فيما قيل انها واحدة بالنية فلو خيرها فاختارت نفسها ثم تزوجها قبل زوج فرفع الى حاكم يرى ذلك فاقره ولم يفرق بينهما ثم رفع لمن بعده فلهذا ان يفسخ نكاحها ويجعلها البتة وليس اقرار الاول اياه حكما منه وان اشهد على ذلك وكتب ثم ذكر في الطلاق قبل النكاح وما بعده من المسائل انها اذا قررها حاكم فلمن بعده ان يحكم فيها بما يراه . ثم قال وقال لي مطرف مثل قول ابن الماجشون من اول هذا القول وقال انه قول مالك وقاله اصبغ اهـ ولم يحك عن ابن حبيب انه تعقب شيئا من ذلك فلذلك عزاه له ابن رشد فقال في البيان : اختلف في الحكم بترك الامور وتقريره هل هو كالحكم فذكر مذهب ابن القاسم ومذهب ابن الماجشون هذا الا انه عزاه لابن حبيب ذكره في شرح الثالثة من رسم الجواب من سماع عيسى. وظاهر هذا الكلام ان الحاكم حكم بترك الامر وتقريره على حاله وهو صريح قول ابن الماجشون ولو اشهد على ذلك وكتب. وبه تعلم ان ما قاله القرافي ونقله المشذالي عن بعضهم ان المراد بالتقرير السكوت وترك الحكم وعدم التعرض غير سديد ولا مستقيم اذ الامام المعزو اليه هذا القول قد فسر مراده وان الحاكم الاول حكم لقوله وان اشهد الخ وعبارة ابن رشد تقتضي ذلك كما بيناه واعترف بذلك من نقل عنه المشذالي وكذا عبارة اللخمي الآتية وكانهما اغترا بلفظ الترك فظنوا ان معناه ترك الحكم والامر ليس كذلك بل المراد ترك الواقعة على ما كانت عليه بان لم يحدث فيها الحاكم ما يغيرها بشهادة قول ابن الماجشون فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل اذ هو صريح في ان متعلق الترك هو المفعول. فالصواب في المسئلة ما اسلفناه وان مدار هذا الاختلاف هو انه هل من شرط الحكم ان يكون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا ـ الاول لابن الماجشون ـ والثاني لابن القاسم. وهكذا اورد المسئلة شيخ المحققين الامام ابن عرفة اذ قال بعد ان عرف الحكم بانه جزم القاضي بحكم شرعي على وجه الامر ما نصه : وفي شرط كون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا

قولا ابن الماجشون وابن القاسم. اللخمي ما هو ترك لما فعل وامساك عن الحكم لغير الفاعل كالحنث بالطلاق قبل النكاح والعتق قبل الملك ونكاح المحرم والحكم بالقسامة فحكم حاكم بامضاء النكاح واستمرار الرق ثم رفع لمن يرى خلاف ذلك فليحكم به ولا يمنعه من ذلك ترك الاول قاله ابن الماجشون ورأى ان الترك ليس بحكم وقال ابن القاسم في كتاب النكاح ذلك حكم وفسخ الثاني خطأ وهو احسن اه المقصود منه. وهو صريح فيما ذكرنا وقول اللخمي فحكم حاكم بامضاء الخ . بين غاية فيما اسلفناه واختياره لقول ابن القاسم لا يوهن قول ابن الماجشون اذ قد اختاره ايضا أيمة اعلام . ووافقته رواية مطرف عن الامام . فلا لوم ولا عتاب . على من اخذ به في هذا الباب .

على أن في اجراء مذهب ابن القاسم رضي الله تعلى عنه في هاته النازلة نظرا اذ هو متعذر من حيث انه يرى ان العقد الواقع على متعدد لا يتعدد بتعدده بل هو عنده امــر واحد مركب من أمور ولذلك قال بفسخ الصفقة المشتملة على حلال وحرام او على عقدين متنافي الاحكام ويرى ان بطلان الحرام في المسئلة الاولى انما افضى الى بطلان كلها لانه كجزء منها واذا بطل الجزء بطل الكل .

وهذه النازلة من العقود الواقعة على متعدد وقد وقع الحكم فيها من المالكي بابطال بعضها فيبطل كلها قصده الحاكم او لم يقصده لان ابطال الجزء سبب في ابطــال الكل والمسبب يتبع سببــه ويحصل بوجوده شاء فاعل السبب أو أبى واذا كان الامر كذلك لم يبق لهذا الحكم الثاني محل يقع عليه فاختل لاختلال ركن من اركانه وايضا فان مقتضى هاته القاعدة ان الحكم انما يتوجه الى الجملة لا الى البعض فاذا صرفنا النظر عن الوجه الاول ونظرنا الى الحكم الثاني وجدناه حكما على البعض بحكم الكل وذلك مما لا مساغ له لان الحكم اذا نيط بالكل فلا يمكن قصره على البعض

ومن تامل الكتب الحكمية وجد لهذا الحكم وجوها اخر تشهد لما نحن بصدده فلا نطيل بها فاقتضى هذا البيان ان هذا الحكم الواقع على الرباع غير محصن لها من المالكية ولا مانع لهم من الحكم فيها على مقتضى ما قررناه

وهذا التقرار وان اثمر اتفاق المالكية في هذه النازلة غير مقتضي لنفي الخــلاف فيها فان ظاهر الحكم المذكور ان مذهب الحاكم فيها مخالف لذلك وان العقد يتعدد بتعدد المعقود عليه كما اشــار اليه حيث لم يسمع من الخصم الادلاء بتقدم حكم المالكي واما ان مذهبه انه لا يعتــبر في الحكم تغيير المتعلق فامر واضح فثبت بهــذا البيان القضية الصغرى القايلة انــ مثل هــذا التصرف مختلف في كونه حكما

ولما القضية الكبرى القايلة ان كل حكم مختلف فيه فلمن لا يراه حكما ان يحكم في متعلقه بما يراه فبيانها ما قاله القاضي برهان الدين ابن فرحون عند ما تحدث على الحكم بالموجب اذا لم يستوف شرائط الحكم بالصحة انه يكون مختلا عند من يشترط ذلك ونصه : والحكم المختلف فيه غير الحكم

بامر مختلف فيه فيسوغ لمن لا يرى الحكم بذلك ان ينقضه الا اذا حكم حاكم قبله بصحة الحكم الصادر بالموجب وكان الحاكم ممن يرى تسويغ الحكم بالموجب على الوجه المذكور فانه حينئذ لا ينقض ويدل عليه ايضا ما تقدم من قول ابن الماجشون ان لمن بعده ان يحكم بما يراه ولا يمنعه ترك الاول وان اشهد على ذلك وكتب فانه صريح في انه يجوز لمن لا يرى السابق حكما ان يحكم والظاهر ان الذي قبله يعتقد ان تصرفه حكم بدليل اشهاده وكتبه . وهذا المعنى وهو ان الحكم المختلف فيه لا ينفذ على المخالف مما يوافقنا عليه ايمة السادة الحنفية ففي الفوائد الفقهية للعلامة ابن غرس الحنفي في أوايل الفصل السابع منها ما نصه : قالوا القضاء المختلف فيه يحتاج في نفوذه على المخالف الى امضاء قاض ءاخر الى ان قال ومثاله قول القاضي ثبت عندي كذا اذا اراد به الحكم لا ينفذ على المخالف حتى ينفذه قاض ءاخر يرى انه حكم او يحكم بصحته بطريقه الخ .

واما كون المالكي ممن لا يرى هذا حكما فقد تقدم بيانه عند الكلام على الصغرى بما لا مزيد عليه هذا ما ظهر للفقير . ونكل العلم للطيف الخبير . وكتبه مسلما على ذلكم الجناب الزكي . والمقام العلي . ومن يقف عليه افقر خدمة العلم الشريف . اسماعيل التميمي الشريف . اصلح الله تعالى احواله . وختم بما يرضيه اقواله واعماله . والله تعلى اعلم

من المجلة الى قرائها

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي فاجاب عنه بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

س — ما حكم بيع العنب لمن يعلم انه يعصره خمرا

ج — البيع المذكور ممنوع والاصل في هذا سد ذرائع الفساد . وفي رسالة الشيخ عبد الرحمن الفاسي في المغارسة عاطفا على الممنوع : وكبيع العنب لمن يعصره خمرا ويفسخ الا ان يفوت فيتصدق بفضل الثمن ، وقال فيما علقه على هذه العبارة ما نصه :

يعني ان بيع ثمار الاعناب لمن يعصرها خمرا ممنوع لانها اعانة على الفساد وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

واذا وقع هذا البيع فسخ كما في المدونة ، قال ابن رشد : واختلف على القول بانه يفسخ ان فات بمغيب المبتاع عليه فقيل يمضي بالثمن ويتصدق البائع بما زاد في ثمنه اذا باعه ممن لا يعصره خمرا . وقيل يمضي بالقيمة ويتصدق بما زاد عليها . يعني انه لو باعه باقل فيتصدق بالزائد اهـ

ووقع في المذهب فروع من هذا المعنى منها ما نبه عليه صاحب المختصر بقوله في باب الاجارة عاطفا على الممنوع : او دار لتتخذ كنيسة كبيعها لذلك وتصدق بالكراء وبفضلة الثمن اهـ .

محمد البشير النيفر



صفحة من تاريخ تونس

ابواب مدينة تونس

(٢)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

واما الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق الذي هو من رجال المائة السادسة فقد قال : وهي (تونس) الآن في وقت تاليفنا لهذا الكتاب (سنة ٥٤٨) معمورة موفورة الخيرات يلجأ اليها القريب والبعيد وعليها سور تراب وثيق ولها ابواب ثلاثة (لم يذكر اسماءها) وجميع جناتها ومزارع بقولها في داخل سورها اه قلت اتفق المؤرخون الاروباويون على ان كتاب الشريف الادريسي احسن ما وضع في فن الجغرافية في زمنه لانه كتبه عن عيان لا عن سماع . قال في الوافي بالوفيات انه الفه بطلب من الملك روجار (الثاني) ملك صقلية وانه ابتهج به واوسعه حظوة وعطاء .

وقال ابن الشباط : ولها (تونس) في زماننا (المائة السابعة) عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصبة ثم قال وبها اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق كبيرة رفيعة وبها خمسة عشر حماما وعضادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة هذا كلام ابن الشباط بالنقل عن ابن ابي دينار الذي استدرك عليه بان ابواب تونس في زمنه (القرن الحادي عشر) سبعة ابواب ولم يبق في القصبة الا باب غدر وان عدد الحمامات اربعون اه

وقال في رحلة العبدري : ومدينة تونس كلأها الله من المدن العجيبة الغريبة وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان والرخام كثير بها واكثر ابواب ديارها معمول به عضائد وعتبا وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ولها ابواب عديدة (لم يذكر اسماءها) وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل اه قلت هذه الارباض هي ربض باب السويقة وربض باب المنارة وربض باب الجزيرة .

واما رحلة التجاني التي ابتدأها سنة ٧٠٦ فلم نجد بها ما يفيد القاري من حيث ابواب مدينة تونس ومثلها رحلة ابن بطوطه سوى ان هذا الرحالة الشهير وصف لنا موكب السلطان الحفصي بما يشفي الغليل وكان ابتداؤه لرحلته من طنجة في سنة ٧٢٥

وقال في تقويم البلدان لابي الفدا اسماعيل المتوفى عام ٧٣٢ : تونس هي كرسي مملكة افريقية ثم لاحظ على ضبط لفظها فقال : بضم المثناة من فوق وسكون الواو وضم النون وفي ءاخرها سين مهملة اه وبهذا الضبط يكون اسمها غير مشتق من الانس الذي اشار له الشاعر في قوله

وتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار

ولكن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان : ان النون في لفظ تونس تضم وتفتح وتكسر قلت هذا اغرب من الغريب لان مثل هذا التوسع لا يصح استعماله في اسماء الاعلام ولان لفظ تونس معرب من لفظ Thunès في اللسان اللاطيني وموجود في كتب الاقدمين قبل ان يفتحها المسلمون باحقاب ومن العبث الصراح الجزم بغير الحقيقة التاريخية التي جعلت اسم تونس لحسن حظ اهلها موافقا بمجرد الصدفة والاتفاق لمادة الانس الذي في معناه الاستبشار وانشراح الصدور

وممن وصف تونس وصفا مستكملا ابن فضل الله الدمشقي (توفي عام ٧٤٨) في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار حيث قال : هي مدينة مسورة في وطئة من الارض بسفح جبل يعرف بام عمرو ويستدير بها خندق حصين وثلاثة ارباض كبيرة من جهاتها وارضها سباخ وبها قصبة هي سكنى السلطان وجميع بناء تونس بالحجر والآجر مسقوفة بالاخشاب وتفرش ديار اكابرها بالرخام ومنذ خلا الاندلس من اهله وآووا الى جناح ملوكها مصروا اقليمها ونوعوا بها الغراس فكثرت منتزهاتها وامتد بسيط بساتينها على بحيرة من البحر الشامي (البحر المتوسط) خارجة الى شرقيها من فم ضيق (حلق الوادي) الى ان قال : وليس لاهل تونس شرب الا من الآبار احدها بير ضبيان وبالبيوت صهاريج (مواجل) تجمع مياه الامطار لغسل القماش وغير ذلك اه فترى مع هذا الوصف الجميل لم يتعرض ابن فضل لذكر ابواب تونس ولكنه افادنا باسم بير ضبيان المقتبس منه بما لا شك فيه اسم خندق ضبيان الذي كان متسربلا خلال ربض باب السويقة حتى البحيرة

هذا ولم نقف بكتاب العبر لابن خلدون على تعريف خاص بابواب تونس رغم المامه الجامع بتاريخ بلاد العرب والبربر باجمعه ومثله القلقشندي فانه وصف تونس في صبح الاعشى ولكنه لم يتعرض لذكر ابوابها ومثلهما المؤرخ ابن الشماع وهو من ابنائها واما الفقيه الزركشي فقد تعرض لذكر جملة من ابواب تونس المعروفة وغير المعروفة ومن هذه الاخيرة باب ينتجمي (لفظ بربري) احد ابواب القصبة ونص عبارته : وفي سنة ٦٥١ بنى (المستنصر بن ابي زكرياء) قبة الجلوس بتونس التي باسراك (لفظ بربري معناه بطاح) المشرفة على باب ينتجمي وبنى الممشى من القصبة الى راس

الطابية لكي تحتجب فيها حريمه واوصله الى رياض ابي فهر . وقال في حوادث عام ٨٥٧ : توفي القائد نبيل بمحبسه ودفن ليلا بالقصبة ثم اخرج ليلة الخميس رابع عشر الشهر المذكور (جمادى الاولى عام ٨٥٧) وانزل الى المدرسة الكائنة شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبه (يا ترى اين موقع هذه المدرسة ؟ والمظنون انها بجهة الحفصية او بجهة حوانيت عاشور حيث مدرسة الوزير البربري احمد بن تفراجين الباقية ءاثارها لهذا الزمان بنهج سيدي ابراهيم الرياحي) وقال في حوادث عام ٨٦١ : اصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنانير ذهبا والشعير على الشطر من ذلك فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان (ابي عمرو عثمان الحفصي) فامر بان يخرج من المخزن (الرابطة) في كل يوم ما يصنع منه الف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس بباب ينتجمي فابتدىء بتفريقها في ثالث ربيع الثاني ودام الى رجب حتى كثر الطعام الجديد ورخص ثمنه اه (هذه الشهور الثلاثة يوافقها من الشهور الشمسية مارس وابريل ومايه سنة ١٤٥٧ للميلاد)

وممن كتب ايضا في وصف حاضرة تونس المؤرخ ليون الافريقي وهو رجل صاحب شهرة مطبقة باروبا ولكنه غير معروف بين المسلمين فهذا الرجل وصف تونس وصفا مستكملا عن عيان تعرض فيه لما بها من الابنية والآبار والعوائد حتى الماكول ومنه البسيس واثنى على اخلاق اهلها واقبالهم على الصنائع والشغل ولاسيما النسج وقال ان السلطان المستنصر زاد في عمارتها باحداث ربض خارج باب السويقة به ثلاثمائة دار وربض خارج باب المنارة به الف دار وربض خارج باب البحر به مساكن النصارى ومتاجرهم واكثرهم من الجنويز والبنادقة والكاتلان وقال ان الدور مبنية بالحجارة الصلدة وصحونها مفرشة بحجر الكذال وبلاط البيوت مموها بالالوان قلت كان عدد ديار تونس في ذلك العصر مقدرا بالعد الصحيح لنحو سبعة ءالاف دار وهي في زماننا هذا ثلاثة اضعاف ذلك .

ومعلوم ان حاضرة تونس كانت مستكملة العمارة في اواخر العصر الحفصي من حيث اشتمالها بالوسط على احياء المدينة الواقعة داخل سورها الاول الموجود مكانه في الزمن الحاضر خط سكة الترامواي كما تقدم ذكره وعلى احياء الارباض المحدثة في العصر الحفصي التي يشملها السور الخارجي الذي ما زالت منه بقية عظيمة موجودة لهذا اليوم وابواب هذين السورين المعروفة بين الناس ذكر اكثرها المؤرخ ابن ابي دينار في المونس بحيث لم تبق لنا فائدة باضافة نقول اخرى لذلك من كتب المؤرخين المتاخرين ولاجله نحصر ما بقي لنا من الحديث في التعريف بتلك الابواب قديمة كانت او حديثة موجودة او غير موجودة ونتوخى في ذلك تقديم القديم على الجديد باعتبار تواريخ ظهورها في عالم الوجود حسب ما انتجه بحثنا في ذلك ولكن لا بد لنا قبل ذلك من الاشارة لكون جميع الابواب التي سنعرف بها كانت تغلق ليلا كما كانت تغلق نهارا ايضا وقت صلاة الجمعة وفقا لعادة قديمة ظهرت في اواخر الدولة الحفصية عند احتلال عساكر الاسبانيول لتونس اتقاء شر الفتنة

ودفعا لهجمات البدو من الاعراب الذين كان بعض سلاطين بني حفص في دور هرم دولتهم يستنفرونهم للدفاع عنهم فيعيثون في الارض فسادا واسترسل الامر كذلك على عهد حكم الاتراك في كامل مدة الدولة المرادية وبقي كذلك ايضا في العصر الحسيني الى اوائل مدة المشير احمد باي فلما رتب الاجناد وتوفرت لديه العدة الكافية للاحتفاظ بالامن العام استغنى بذلك عن غلق أبواب الحاضرة وقت صلاة الجمعة وبقي غلقها واقعا في الليل بانتظام من الغروب الى قبيل طلوع الشمس عدا باب الخضراء وباب علاوة فانهما لا يغلقان الا اثر صلاة العشاء وقياسا على ذلك كانت ابواب الحارات والحومات بداخل المدينة تغلق ايضا في الليل وهذه الابواب الداخلية كانت كثيرة بقسم المدينة لكل حومة باب خاص بها يجعلها منفصلة عن بقية الحارات طيلة الليل كله صيفا وشتاء وكانت مفاتيحها بيد المحركين ولا يجوز فتحها ليلا بحال اللهم الا في حالة احتضار مريض لجلب طبيب او قريب له او في حالة امراة اخذها المخاض ليؤتى لها بقابلة لمباشرتها ودام غلق ابواب حومات المدينة الى سنة ١٢٧٦ فلما اعلن المشير محمد الصادق باي بقانون عهد الامان ترك لاهل الحاضرة حريتهم بابقاء ابواب حاراتهم مفتوحة في الليل كما في النهار ولم يستثن من ذلك الا ابواب اسواق التجارة وما زالت كذلك الى هذا الزمان. اما غلق ابواب البلاد ليلا فقد كان القصد منه حفظ السكان من طوارق الحدثان ومن ناحية اخرى كان وسيلة لضبط الاداء الموظف على المحصولات التي تجلب لتونس من مختلف الجهات حتى لا يقع ادخال شيء من الطعام او غيره خفية في الليل ويفوت بذلك دخل كبير على البايليك بحيث ان ابواب البلاد كانت لا تفتح ليلا الا لحادث عظيم فقد اتفق لهم مرة فتح باب ابي سعدون اثناء الليل عن اذن الداي ليخرج منه جماعة من القراء وقع استدعاءهم للحضور بباردو بمناسبة ماتم بدار الامارة حدث فجاة وهذا الباب نفسه صدر الاذن في اواخر عام ١٢٩٨ بابقائه مفتوحا دواما واستمرارا لتسهيل اسباب المواصلة لعساكر جيش الاحتلال بين تونس والثكنات العسكرية الواقعة خارجها ثم بطريقة التدريج وقع فتح باب الخضراء وباب علاوة وباب القرجاني وباب العلوج في الليل كما بالنهار وكان ءاخر الابواب فتحا في الليل مع النهار باب سيدي عبد السلام وباب سيدي عبد الله الشريف والغيت مع ذلك خدمة استخلاص المعلوم على دخول المحصولات من ابواب الحاضرة لفوات المقصود منها لان اكلافها اصبحت بتكاثر متوظفيها تناهز المدخول المتحصل منها لفائدة صندوق الدولة واليك تاريخ نشاة تلك الابواب

١ — باب الجزيرة — هو من اقدم ابواب تونس ان لم يكن اقدمها والجزيرة المنسوب لها هذا الباب هي جزيرة شريك العبسي وقد تقدم التعريف بذلك ونعرف لامام البلاغة الورغي ابياتا جاء فيها ذكر هذا الباب ونصها :

سقاك الغيث يا باب الجزيرة   فكم جازتك من حوراء عطيرة

تميل اذا مشت كالسرو هبت　　عليها الريح من ارض مطيرة
ويرجع كل ذي عين رءاها　　بكف عن تناولها قصيرة
اذا ما قال ذو طمع لمن ذا　　تقول لمن دراهمه كثيرة

٢ – باب قرطجنة – معروف ومما لا شك فيه انه من اول ابواب تونس حدوثا ويلوح انه ظهر في المائة الثانية لانهم كانوا يدخلون منه الحجارة المجلوبة من اطلال قرطجنة لعمارة تونس وتونس كانت دار علم وفقه ومتمصرة في أواخر المائة الثانية

٣ – باب ارطه – غير معروف ويلوح انه من اقدم ابواب تونس على تقدير ان اسمه نسبة لاسم بشر بن ارطه من اصحاب عقبه بن نافع الذي تولى حكم افريقية مرتين في اواسط القرن الاول للهجرة او هو نسبة لبقعة من الارض مجاورة لتونس كما تقدم ذكره

٤ – باب السقايين – غير معروف وهو من اقدم ابواب تونس لانه كان موجودا في المائة الخامسة ولعل موقعه كان بجهة باب الاقواس كما تقدم بيانه

٥ – باب البحر – معروف وهو من اقدم ابواب تونس اتفاقا لان سوره كان هو الحافظ للمدينة من جهة البحر كما يدل عليه اسمه . قالوا ان الواقف بدرج جامع الزيتونة في المائة العاشرة كان يرى مياه البحر من مكانه

٦ – باب السويقة – معروف كان موجودا باسمه هذا في المائة الرابعة ومعنى السويقة سوق صغيرة كان يملكها سيدي محرز بن خلف وكانت محررة من الامكاس كبقية رباعاته وعقاراته ومتاجره وغيره . وسيدي محرز رضي الله عنه كان من رجال الدين والدنيا جمع بين علوم الشريعة وعلوم الاجتماع البشري

٧ – باب الاقواس – معروف موقعه ويلوح مما ورد في حقه بالمونس انه اندثر مع السور القديم الذي بناه سيدي محرز بن خلف

٨ – باب الفلاق – غير معروف ذكره ابن ابي دينار في جملة الابواب التي كان موقعها بالسور المحرزي المندثرة

٩ – باب البنات – معروف والمتعلق بمحفوظي انه منسوب لبنات احد النوار ولعله ابن غانية المعاصر للموحدين وهؤلاء البنات كن على جانب من الجسارة والشمم وعزة النفس

١٠ – باب ينتجمي – غير معروف وكان موقعه بالقصبة بما لا شك فيه لان الزركشي قال انه احد ابوابها كما تقدم وصفه بمزيد بيان

١١ – باب غدر – معروف ذكره ابن ابي دينار وقبله الزركشي ومنه يستفاد انه كان موجودا في عام ٧٠٨ وهذا الباب خاص بالعساكر الذين بثكنة القصبة في هذا الزمان

١٢ — باب القرجاني — معروف موقعه وسمي كذلك نسبة لولي الله سيدي علي الكبير القرجاني من رجالات المائة السابعة

١٣ — باب المنارة — معروف سمي كذلك لانه كانت بجداره مشكاة لهداية ابناء السبيل وكان موجودا في عام ٦٨٤

١٤ — باب الجديد — معروف بني على عهد السلطان يحي الحفصي في حدود سنة ٦٧٦ وفي مدة الباشا علي باي الاول تناوله التدمير والتخريب برمي المدافع اثناء الفتنة التي اثارها الباشا المذكور لاغتصاب الحكم من يد عمه المقدس المولى حسين بن علي ولما رجع الدر لمعدنه امر المولى علي باي الثاني بتجديد الباب المتحدث عنه في سنة ١١٨٣ وقد ارخ هذا التجديد امام البلاغة ابو عبد الله محمد الورغي بابيات ننقلها من ديوانه ونصها :

جدد هذا الباب باب الجديد ... علي باشا بن الحسين السعيد
اقامه من بعد ما قد هوى ... في فتنة يشيب منها الوليد
فالله يحميه وانجاله ... من مثلها في طيب دهر حميد
ويبني لهم مثل ما قد بنى ... هذا هنا في الخلد قصرا مشيد
وعند ما قدمت ارخته ... لمدخل ارفاق ونيل يزيد

١١٨٣

١٥ — باب علاوة — معروف كان موجودا في عام ٨٨١ على ما افاده الزركشي

١٦ — باب ابي سعدون — معروف ذكره غير واحد من المؤرخين ويلوح انه بني في اواخر المائة الثامنة او في اوائل المائة التاسعة لان السلطان محمد المنتصر الحفصي بنى سقاية هذا الباب في حدود سنة ٨٣٨ حسب ما جاء ذلك في المونس وفيه يقول امام البلاغة الورغي بطالعة نونيته المعروفة

باكر سعودك ليس الوقت بالدون ... واجعل صبوحك عند باب سعدون

١٧ — باب الخضراء — معروف واسمه ازهى اسماء ابواب تونس سمي كذلك لانه يعبر منه لجهة الخضراء التي كانت معمورة بالزياتين ويلوح ان بناءه كان في اواخر المائة العاشرة لاني لم نعثر على ذكره في العصر الحفصي ولانه كان موجودا في عهد الدولة المرادية

١٨ — باب العلوج — معروف وكان اسمه باب الرحبية في المائة الثامنة وما قبلها وغلب عليه نسبته للعلوج من اواسط المائة التاسعة لان السلطان ابي عمرو عثمان لما تولى الملك في سنة ٨٣٩ وفد عليه اخواله من ايطاليا فبر بهم واسكنهم بالربض المجاور للقصبة قال في الخلاصة النقية : كانت ام هذا السلطان من العلوج اسمها مريم (ماريه) فلما بويع ورد عليه اخواله فاسكنهم بالربض الملاصق للقصبة وعرف بحومة العلوج من يومئذ اه .

١٩ — باب سيدي قاسم — معروف والنسبة لسيدي قاسم الجليزي (صوابه الزليجي) المتوفى

سنة ٩٠٢ قال في المونس ان اسمه كان باب خالد قلت لعل خالد هذا هو السلطان ابو البقا خالد بن ابي زكرياء الذي تولى الملك في سنة ٧٠٩ وهذا الظن حملني عليه كون زاوية سيدي قاسم المجاورة لهذا الباب بها مقابر للحفصيين وما هو الا مجرد احتمال لا نجزم بصحته

٢٠ — باب الفله — معروف هو من بقايا العصر الحفصيِ في دور انحطاطه . قال في المونس سمي بذلك لانه كان ثلمة في السور ولما دهم أهل تونس العدو من النصارى (الاسبانيول) وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة إن تؤخذ عنهم الابواب فخرج أكثرهم من هنالك فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة وهذا الاسم باق الى اليوم اه

٢١ — باب سيدي عبد السلام — معروف ولكن لم نقف له على خبر يمكنني من تحديد تاريخ احداثه ولو على وجه التقريب اللهم الا بطريقة الحدس والتخمين وبهذا التقدير يمكن الرجوع به للعصر الحفصي من وجهين اولا انتساب الفسقية التي بقربه الى اسمه (فسقية باب سيدي عبد السلام) وهذه الفسقية في اصلها من بقايا العصر الحفصي وثانيا لان هذا الباب احد الابواب الثلاثة (والآخران هما باب سيدي قاسم المتقدمْ ذكره وباب سيدي عبد الله الذي سياتي ذكره) من مجموع ابواب تونس التي لم تمسها يد التغيير والترميم بحيث انها (اي الابواب الثلاثة المشار اليها) ما زالت في حالة بنائها العربي التي هي عليه منذ قرون وهي متماثلة الوضع والشكل والحجم مما يحمل على الجزم بانها من بقايا العصر الحفصي لاسيما وان احدها وهو باب سيدي قاسم كان موجودا في المائة التاسعة اي قبل سقوط الدولة الحفصية بنحو مائة عام

٢٢ — باب سيدي عبد الله — معروف وكان اسمه في القديم باب سيدي علي الزواوي على ما ورد في كتاب المشرع الملكي وزاوية سيدي علي الزّواوي ما زالت موجودة داخل السور قرب هذا الباب الذي كان منسوبا لصاحبها قال في المشرع الملكي عند الكلام على جنازة المولى محمد الرشيد باي المتوفى عام ١١٧٢ : ودخلت جنازته من باب سيدي علي الزواوي ودفنوه بتربة ابيه (زاوية سيدي قاسم السبابطي) واما سيدي عبد الله الملقب بالشريف فضريحه خارج هذا الباب المنسوب اليه في هذا الزمان ويلوح انه من اهل الاجيال المتاخرة لان الباب المتحدث عنه كان منسوبا لاسم غيره في أواخر القرن الثاني عشر كما تقدم ذكره قريبا

٢٣ — باب العسل — معروف واسمه مقتبس من اسم درب ابن عسال وهذا الدرب كان موجودا في العصر الحفصي لانهم كانوا يسمون الازقة والشوارع دروبا في زمنهم واما الباب المتحدث عنه فهو في محدثات هذا العصر وقع فتحه لنحو ثلاثين سنة ماضية ويروق لي ختم الكلام في هذا المقام بحديث باب العسل لانه لا احلى من الشهد

محمد بن الخوجة

القضـاة الشرعيـون

في القديم

« ٦٠ »

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ
سيـدي محمد البشير النيفر المفتي المالكـي

ابن باديس

هو ابو علي الحسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني بيته من بيوتات العلم في قسنطينة وبه يتصل نسب الاسرة الباديسية الموجودة في فروعهـا الى اليوم بهذه المدينة ، ترجمه الشيخ بابا في نيـل الابتهاج وذكر ان ولادته سنة ٧٠١ ونقل عن ابن الخطيب القسنطيني وصفه بالمحدث وانه أخذ عن ناصر الدين المشذالي وابن غربون البجائي وابن عبد الرفيع وغيرهم وانه ادرك في حداثة سنه ما لم يدركه غيره في سنه ، قال ولغلبة الانقباض عليه قل النفع به لمن ادرك حياته .

واما ولايته قضاء الجماعة بتونس فكانت بعد وفاة سلفه ابن حيدرة ثم استقال منه على ما في تاريخ الدولتين « صفحة ٩٦ » في أواخر صفر سنة ٧٨١ وولي قضاء قسنطينة وتوفي على ما في نيل الابتهاج سنة ٧٨٧

ابن القطان

هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن البلوي القطان ولعله حفيد القاضي عبـد الرحمن الذي مضى القول في ترجمته قريبا ولي القضاء بعد ان تخلى عنه ابن باديس ووصفه الزركشي بالفقيه وذكر « صفحة ٩٧ » انه توفي في حدود سنة ٧٨٥ خمس وثمانين وسبعمائة .

البرشكـي

هو ابو زيد عبد الرحمن البرشكي ولي القضاء مكان ابن القطان وصفه الزركشي بالفقيه وقال فيه الشيخ بابا في نيل الابتهاج : الشيخ الامام العلامة الخطيب المدرس قاضي الخلافة العلية بتونس وكان من أهل العلم والعمل به بمحل لا يجهل ، واما اخلاقه العلية ومكارمه السنية فكالغيث الواكف احد اشياخ العلامة ابن مرزوق كذا ذكره بعضهم قلت وهو من شيوخ ابي الطيب بن علوان المصري اهـ

وقال الزركشي في تاريخ الدولتين (صفحة ٩٨) ثم بعد مدة من تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه شيخ شيوخنا الفقيه العالم ابو مهدي عيسى الغبريني ثم لما كانت سنة سبع وثمانين توفى القاضي البرشكي واستقل بالقضاء ابو مهدي عيسى المذكور اه

الغبريني

هو ابو مهدي عيسى بن احمد بن محمد بن محمد الغبريني اخذ عن الشيخ ابن عرفة ومن في طبقته وبعد في العلم والتحقيق صيته واخذ عنه أكثر المتأخرين من تلاميذ الشيخ ابن عرفة كالبسيلي وابي يحيى ابن عقيبة والشيخ عمر القلشاني وابي القاسم القسنطيني وابن ناجي وكان يثني عليه كثيرا ويحليه بنعوت العظمة والجلال كما ترى في غير موضع مما كتب على المدونة .

ومما قال فيه : ما رأيت أصح منه نقلا ولا أحسن منه ذهنا ولا أنصف منه مع كمال الرئاسة اه

وقال ايضا : انه ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة اه

وقال تلميذه الامير ابو عبد الله المعروف بالحسين ابن السلطان الحفصي : شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممن يجتهد في المذهب ولا يحتاج لدليل على ذلك اذ العيان شاهد بذلك اه

وقد ولي رحمه الله قضاء الجماعة والامامة والخطبة والفتوى بجامع الزيتونة

أما قضاء الجماعة فقد باشره نيابة عن البرشكي لما مرض ثم استقل به بعد وفاته سنة ٧٨٧ » وقد أسلفنا هذا نقلا عن الزركشي

وأما الامامة بجامع الزيتونة فقد قام بها نيابة عن الشيخ ابن عرفة لما خرج حاجا سنة ٧٩٢ ثم وليها هي والخطابة بعد وفاته سنة ٨٠٣ وقلد معهما الفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة كما كان أستاذه أيضا .

وكان من العوائد المقررة في الجامع أن الامام اذا أراد أمر المؤذن باقامة الصلاة ضربت نقارة بين يديه في الدويرية « مقصورة الامام » فاقيمت الصلاة فلما ولي صاحب الترجمة الامامة سأل الشيخ أبا محمد عبد الواحد الغرياني أعنده عام في مستند هذه النقارة فاخبره أن اباه حدثه عن الشيخ عبد الله بن عبد البر أنه كان اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رآه المؤذن هنالك أقام الصلاة وقد يجلس في الدويرية لعذر او رواية كتاب فيضرب خدمة الجامع تلك النقارة اعلاما للمؤذن بحضور الامام . فابطلها صاحب الترجمة رحمه الله ثم اعادها الشيخ البرزلي ثم جاء الائمة بعده فابطلها بعضهم واستعملها آخرون ثم استمر تركها الى اليوم ولله الحمد والمنة

هذا واقام صاحب الترجمة في خططه كلها الى ان توفي يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٨١٣) ودفن بالزلبع كذا في الزركشي وفي نيل الابتهاج نقلا عن الشيخ أحمد القلشاني انه توفي سنة ٨١٥ وقال السخاوي سنة (٨١٦) والله اعلم .

يتبع
محمد البشير النيفر

كنز الادب

هي قصيدة عامر ابن هشام القرطبي الاندلسي التي قالها يشكو دهره عند ما رقت حاله ويذكر فيها محاسن قرطبة ويأبى مفارقتها والخروج منها لطلب العيش والالتجاء الى سلاطين مراكش الموحدين خلفاء المهدي ابن تومرت من ذرية عبد المؤمن ابن علي لما اشير عليه بالتوجه الى عدوتهم

وقد سبق للمجلة نشر عدة قصائد على رويها فتشوق القرآء الى الاطلاع عليها وذلك عند ما تعرض الشيخ المقداد الورتاني الى ذكر مطلعها وتسمية صاحبها والتنويه بشانها وانها كانت تعرف في الاندلس بكنز الادب وذلك في قصيدته التي على رويها والمدرجة بالمجلة في شهر صفر الفارط ومطلعها

يا تونس الانس دار العلم والدين ... هل هبة منك عن دارين تغنيني

والآن ننشر القصيد (كنز الادب) التي كانت سببا في نفاق سوق الادب ونصها :

***

يا هبة باكرت من نحو دارين ... وافت الي على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة ... جناحها بين خمري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما ... خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر ارضكم ... ما اصبحت من اليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة ... من سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله ... لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا ... وظل ينشرني طورا ويطويني
خلت الشمال شمولا اذ سكرت بها ... سكرا بما لست ارجوه يمنيني
اهدت الي اريجا من شمائلكم ... فقلت قربني من كان يقصيني
وخلت من طمع ان اللقاء على ... اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
فظلت ألثم من تعظيم حقكم ... مجر اذيالها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد ... قلبي وطرفي ولا سلوان يثنيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما ... يزال مثل اسمه ان بان يبكيني
الى الرصافة فالمرج النظير فوا ... دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون

لباب عبد سقته السحب وابلها فلم يزل بكئوس الانس يسقيني
لا باعد الله عني من منازهه ولا يقرب لها ابواب جيرون
حاشا لها من مجلات مفارقة من شيق دونها في القرب محزون
أين المسير ورزق الله ادركه من دون جهد وتأميل يعنيني
يا من يزين لي الترحال عن بلدي كم ذا تحاول نسلا عند عنين
وأين يعدل عن ارجاء قرطبة من شاء يظفر بالدنيا وبالدين
قطر فسيح ونهر ما به كدر حفت بشطيه الفاف البساتين
يا ليت لي عمر نوح في اقامتها وان مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت افنيه على نشوا ت الراح نها ووصل الحور والعين
وانما أسفي أني اهيم بها وأن حظي منها حظ مغبون
ارى بعيني ما لا تستطيل يدي له وقد حازه من قدره دوني
وانكد الناس عيشا من تكون له نفس الملوك وحالات المساكين
يغض طرف التصابي حين يبهته قضبان نعمان في كثبان بيرين
قالوا الكفاف مقيم قلت ذاك لمن لا يستخف الى بيت الزراجين
ولا يبلبله هب الصبا سحرا ولا يلطفه عرف الرياحين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمان الصدور ترجيع التلاحين
لا تجتنى راحة الا على تعب ولا تنال العلا الا من الهون
وصاحب العقل في الدنيا اخو كدر وانما الصفو فيها للمجانين
يا ءامري ان احث العيش عن وطني لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
نصحت لكن لي قلبا ينازعني فلو ترحلت عنه حله دوني
لالزمن وطني طورا تطاوعني قود الاماني وطورا فيه تعصيني
مذ الابين عرفاني واضرب عن سير لارض بها من ليس يدريني
هذا يقول غريب ساقه طمع وذاك حين اريد البر بجفوني
اليك عني ءامالي فبعدك يهديني وقربك يطغيني ويغويني
يا لحظ كل غزال لست املكه يدنو ومالي حال منه تدنيني
ويا مدامة دير لا الم به لولا كما كان ما اعطيت يكفيني
لاصبرن على ما كان من كدر لمن عطاياه بين الكاف والنون

أهـ

رثـاء الشيخ البـاونـدي

في شهر شعبان من العام الماضي ١٣٥٩ انتقل الى عفو الله وسعة رحمته المرشد الواعظ الشيخ عبد العزيز الباوندي فكان لفقده رنة اسف عمت سائر الطبقات لما جبل عليه الفقيد من الصفات المرضية وما قام من الاصلاح في كثير من الميادين فقد احيا رحمه الله سنة تلقين القرآن بطريقة الاملاء واسس دروس الاملاءات في كثير من مساجد الحاضرة حتى اصبح كل حي في احد مساجده تقام الاملاء بين العشاءين بما يفوق العد ثم ولى وجهته نحو بلدان المملكة فاسس في كل بلد زاره املاء واقام الاحتفالات لهذا الغرض الشريف يحضرها كافة الطبقات فيعظ الحاضرين ويذكرهم بما يلين القلوب ويرغبهم في الاقبال على القرآن والاهتمام بتعاليمه والبعد عن مواطن الفساد وقد اخذ بيده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقاموا بتعليم الناس القرآن الكريم كما اسس دروس الوعظ في الجهات التي بها من آنس منه المقدرة على ذلك في الحاضرة وبلدان المملكة فكان لعمله هذا عظيم الاثر من غير ضوضاء ولا قال ولا قيل وبذل في سبيل غرضه الشريف كل رخيص ونفيس جاعلا رائده الدعوة الى ما فيه الاصلاح وقد يسر الله له في بضع سنوات تعميم هذا المشروع العظيم في غالب جهات المملكة ولم يبق له الا جهة قابس وما حولها وقد عاجلته المنية قبل ان يتمم زيارة تلك الجهات . وقد تعرف في زياراته لبلدان المملكة بافاضل الرجال فشدوا ازره ونشروا بين الناس الفضيلة ونهوا عن المنكر بما خلد له ولهم مبرات حسان كتبت لهم على صفحات التاريخ الحديث جزاهم الله عن المسلمين احسن الجزاء

ومن علامات القبول وصدق نية الفقيد ان بقيت آثاره الاصلاحية بعد وفاته كما هي عليه في حال حياته في الحاضرة وكثير من بلدان المملكة وقد قام مقامه في تونس اخوه الشيخ علي الباوندي يعاضده رجال جلة ممن كانوا في حياة الفقيد عضده الايمان في القيام بالمشروع من تلامذته وغيرهم بارك الله في الخلف ورحم السلف . هذا وقد رثاه رحمه الله كثير من الشعراء يوم وري على جثمانه التراب وبعده بقصائد رائقة ناطقة بمزايا الشيخ ومناقبه الجميلة وقد وافتنا هذه المرثية من بنات افكار الفاضل الزكي الشيخ العروسي العبادي المدرس بنفطة ونصها :

الله اكبر كل حي فان قد مات حامل راية القرآن
هل في الخطوب وأن تفاقم شرها خطب يشيب نواصي الولدان

ام هـل تـرى رزء بحـر لهيـبـه   يصلى القلوب كمضرم النيران
وهل انبرت يوما بتونس نكبة   والمسلمين بسائر البلـدان
كمصابهم بممات واعظ جمعهم   ومؤسس الامـلاء للفرقـان

***

مـات الامـام بعلمـه وبهـديـه   مـات المـلاذ وعمـدة الجيران
مات المبرز في العدالة والتقى   مـات النصير لاشـرف الاديان
مـات العفيـف بزهـده وبحلمـه   مـات الجريء على ذوي الطغيان
مـات الكـريم ببـره وصلاته   كاسي العـراة ومشبع الغرثان
عبد العزيز ومن كمثله ذلك الـ   ـفذ البوندي ما لـه من ثان
المغضب الشيطـان منـذ شبابـه   والمستحـق مبـرة الرحمـان
من عاش طول حياته وقفا على   بـر الـورى والنصح للاخـوان
لا يبتغي بفعاله مهما سمت   ثمنا ولا شكـران من انسان
حقا غدت حركاته وسكونه   لله لا للاصفـر الـرنـان
قدكان نـورا في العوالم ساطعا   واليوم في لحـد وفي اكـفان

***

يا من ثوى في كل قلب حبه   وسرى الثناء عليه في الاكـوان
هـذيا الايالة طفت في ارجائها   تـدعو الى المـولى بكـل لسان
اسست املاء الكـتاب بها على   اسس كمثل دعـائم الاركان
والسنـة الغـراء قمت ببعثها   احييتها في افسـد الازمـان
وابنـت منها للتصوف منهجا   لم تخطـه في السـر والاعـلان
وزجرت من يهوى الرذيلة فانتهى   واخـذت عنـه اغلـظ الايمـان
وحججت كـل معاند جادلتـه   وخصمـتـه بمـؤيـد البـرهـان
والملحدين كشفت عن سوآتهم   فشفيتهم من علـة الخذلان
وذهبت في هذا الطريق مجاهدا   لـم تخـش غير الله من سلطـان
لـم تنثن اذ هـددوك بشرهـم   ووقفت منهم موقـف الشجعان
تبكي المساجد والمدارس والمصا   حف والمعاهـد شيخهـا الربـاني
تبكي ببكاء الثاكلات لفقـده   وتـود اسعافـا مـن الخـلان
وا رحمة للبـر بعـدك والتقـى   وا رحمـة للـديـن والعـرفـان

***

ما عشت لن انسى زيارتكم لنا — في نقطة مع سادة اعيان
نادى المنادي معلما بقدومكم — فتسارع الاشياخ كالشبان
واكتض منهم جامع برحابه — وامتدت الاذان والعيان
فطلعت بعد العيد مثل هلاله — بل بدر تم امن النقصان
بل طود علم جل ناقله لنا — بل بحر فضل دائم الفيضان
ذكرتنا اخلاق اجداد لنا — شادوا العلى في سالف الازمان
وجلت تنثر واعظا ما شئت من — درر نظمت بها عقود جمان
وذهبت تسبح في بحار جمة — بفصيح نطق واضح التبيان
فالشرح للآيات جاء مدققا — اما الحديث فما روى الشيخان
ابكيتهم حتى سمعت نشيجهم — لما وصفت لهم عقاب الجاني
ثم انثنيت مبشرا من يهتدي — فبعثت فيهم هزة النشوان
وبذرت فينا بذرة ميمونة — سرعان ما منحت جناها الداني
وتركتهم بعد الرحيل بحسرة — فالدمع لم يرقأ من السيلان
كل يعلل نفسه برجوعكم — يوما من الايام للاوطان
لكن اتى سيف المنون بضربة — اخنت على ما كان في الحسبان

***

نزل القضاء فهل لنا من حيلة — غير الرضا بالحكم والاذعان
ناداك ربك والجزاء مهيأ — فارجع له في ذمة وامان
واعلم بان الدهر ليس بقادر — ان يمحو الذكرى من الاذهان
فالله يمطر روحكم وضريحكم — بسحائب الرحمات والرضوان
وينيلكم خير العطاء بفضله — ويفيض عنكم وابل الغفران
ويحلكم اعلى الجنان مخلدا — ويمدنا بالصبر والسلوان
ويعوض الاسلام بعدك مصلحا — يحميه شر طوارق العدوان

العروسي العبادي